

دراسة مقارنة عن الانتاجية الصناعية في انكلترا ، فرنسا والمانيا

الدكتور حسن على سليمان *

يهدف البحث المرفق باللغة الانكليزية الى تقديم دراسة مقارنة عن الانتاجية في بعض الدول الصناعية وعلى وجه الخصوص انكلترا وفرنسا وألمانيا ، لتعرف من خلال ذلك على العوامل التي أثرت على التطور الصناعي وتبيان أسباب تباطؤ انكلترا بالمقارنة بمنافساتها من الدول الاوروبية الاخرى . فتاريخ أوروبا الاقتصادية ، وخاصة في السنوات الاخيرة ، يعكس لنا حقيقة هامة الا وهي توسع الهوة في الكفاءة أو المقدرة الاقتصادية بين انكلترا من جهة والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة من جهة أخرى . وهذه الحقيقة لا تقتصر على العقود القليلة الماضية انما تاريخها يعود الى الفترة منذ أواخر سبعينات القرن التاسع عشر . فأرقام الانتاج الصناعي تشير الى تزايد مستمر وبدرجة كبيرة في كل من الولايات المتحدة والمانيا خلال معظم السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية . ففي الوقت الذي ازداد فيه الانتاج الصناعي في انكلترا بما يعادل ١٩٠٪ خلال الفترة من ٦١ - ١٨٦٥ الى ٣٠ - ١٩٣٧ ، نلاحظ ان مجموع الزيادة في كل من المانيا والولايات المتحدة قد وصل الى ٤٠٠٪ و ١٠٠٠٪ (من ٦٦ - ١٨٧٤ الى ٣٠ - ١٩٣٧) على التوالي . وبالرغم من أن هذه الفروقات قد تعزى بدرجة غير قليلة الى حقيقة ان مستويات الانتاج في كل من المانيا والولايات المتحدة كانت واطئة في البداية بالمقارنة بانكلترا ، وكذلك الى اختيار سنة ١٩١٣ كسنة أساس حيث ان ذلك يعطينا صورة متحيزة ضد انكلترا ، لكن ذلك لا يبدل كثيرا من

* محاضر في الاقتصاد بكلية الاقتصاد والتجارة - بنغازي .

الصورة العامة لتطور الصادرات والاتاجية بطريقة أفضل في المانيا والولايات المتحدة منها في انكلترا .

وهذه الظاهرة أثبتتها دراسات عديدة قدمت في هذا المجال فالاستاذ L. Rostas كان قد قدم دراسة مقارنة عن الاتاجية محسوبة بالوحدات للفرد في كل من انكلترا ، المانيا والولايات المتحدة خلال الفترة ٢٦ - ١٩٣٧ وأبانت هذه الدراسة بأن الاتاجية في الولايات المتحدة و المانيا كانت ٢٣٨ و ١٠٧ على التوالي على أساس انها تعادل ١٠٠ في انكلترا . كما وان الاستاذ Marvin Frankil توصل الى نتيجة مقارنة لذلك ، واستنادا الى الاحصائيات الصناعية (Censuses) التي توفرت في كل من انكلترا والولايات المتحدة في ١٩٤٧ و ١٩٤٨ اظهرت الدراسة بأن معدل الاتاجية في الولايات المتحدة كان ٢٤٤ على أساس انها تعادل ١٠٠ في انكلترا .

وعليه نلاحظ بأن انكلترا شهدت بداية الثورة الصناعية وكانت الدولة الاولى في المجال الصناعى بلا مناس . ولكن منذ أواخر القرن الماضى بدأت بوادر انتهاء سيادتها الصناعية ، وظهرت الى الوجود دول صناعية حديثة تمكنت من منافسة انكلترا في السوق العالمية وهذا الاتجاه استمر وتزايد بتباطؤ انكلترا حتى وقتنا الحاضر . وفيما يلي سنقدم تلخيصا لاهم النقاط بهذا الخصوص ، مؤكداين على الفترة منذ ١٩٥٠

(١) الفترة ما قبل ١٩٥٠

يمكننا حصر العوامل التى ساعدت على تقدم الدول الصناعية الحديثة بالمقارنة بانكلترا في ثلاث مجموعات :

١ - الدول الصناعية الحديثة كالمانيا والولايات المتحدة (وفرنسا فيما بعد) بدأت ثورتها الصناعية بعد انكلترا . وبهذا فانها كانت في مركز أفضل من انكلترا اذ تمكنت من استخدام مكائن ومعدات حديثة أكثر كفاءة من تلك التى استمرت انكلترا على استخدامها . وبالرغم من أن التركيب الصناعى في انكلترا كان في

تطور وتحول لمواكبة عجلة التكنولوجيا لكنه لم يكن بالدرجة التي تعوض عن المنافع التي كانت قد استفادت منها الدول التي بدأت ثورتها الصناعية في وقت لاحق .

٢ - نمو السكان والايدي العاملة كان أبطأ في انكلترا منه في بقية الدول . وهذا العامل مكن بعض الدول وخاصة الولايات المتحدة من استغلال موارد اقتصادية أكبر ، سواء من حيث النوع أو الكمية .

٣ - والمجموعة الثالثة من العوامل تتلخص في الاختلافات في حجم المشروعات ، نوعية الادارة ، حجم السوق ، وبقية العوامل المتعلقة بتوفر الموارد . وأفضلية أمريكا على انكلترا بهذا الخصوص أمر واضح وكتب عنه الكثير .

(ب) مقارنة الانتاجية خلال الفترة ما بعد ١٩٥٠

نظرا لاختلاف الظروف الاقتصادية بين انكلترا والولايات المتحدة في كثير من الجوانب ونظرا الى أن نمو الانتاج ونتاجية الفرد لم تكن متباعدة كثيرا بين الدولتين خلال الفترة موضوع البحث ، وحيث ان الدروس والعبر لانكلترا يمكن أن تستقي من الدول الاوروبية الاخرى التي حققت معدلات نمو كبيرة ، لكل هذه الاسباب حصرت الدراسة المقارنة بين انكلترا ، المانيا وفرنسا .

١ - مقارنة انكلترا بفرنسا و المانيا :

ان أوجه الشبه بين انكلترا و المانيا هي أكثر منها بين انكلترا وفرنسا . فالاقتصاد الالماني يتشابه الى حد كبير مع الاقتصاد البريطاني من حيث المساحة والسكان ، وبدرجة أقل التركيب القطاعي . بينما الاختلاف واضح بين الاقتصاد البريطاني والفرنسي في كثير من الجوانب فمساحة فرنسا تقارب ضعف مساحة انكلترا والسكان العاملون في الزراعة الفرنسية بلغ ٢٧٪ من المجموع سنة ١٩٥٤ مقابل ٤٥٪ في انكلترا لنفس القطاع خلال نفس العام .

والفرق الرئيسي بين الدول الثلاثة هو أن الزراعة تشكل نسبة كبيرة في

المانيا وبدرجة أكبر في فرنسا مما هي عليه الحال في انكلترا ، سواء من حيث الانتاج أو الايدى العاملة في مجموع الاقتصاد •

النمو الصناعى ، الايدى العاملة والانتاجية :

حققت كل من المانيا وفرنسا تقدما سريعا ومستمرًا في الانتاج والانتاجية ، بالمقارنة بما حققته انكلترا ، خلال فترة الخمسينات وأوائل الستينات من القرن الحاضر • وتحقيق ذلك في كل من المانيا وفرنسا يعود الى عوامل مختلفة •

فالنجاح الذى حققته المانيا ارتكز على اتباع سياسة حرة متميزة بتوفير الدوافع للعمل والانتاج • واتباع سياسة أو فلسفة «الاقتصاد الاجتماعى السوقى» "Social Market Economy" التى كانت المحور لتحقيق «المعجزة» الالمانية ، اذ أنها لعبت دورا هاما وديناميكيا في توسيع الانتاج والمحافظة على استقرار الاسعار • فالتأكيد قد ركز على الانتاج أولا ثم على الاستهلاك • وفى فرنسا ، من جهة أخرى ، فإن الاتجاه نحو التخطيط العام الذى بدى به فى أواخر الاربعينات من هذا القرن لتحقيق أهداف محددة ، كان قد لعب دورا ديناميكيا في تحقيق التطور الصناعى •

أما فى انكلترا فإن التباطؤ في الانتاج والانتاجية يعزى الى سياسة «الاستمرارية ثم التوقف» "Stop-go-stop" أو «قف - سر - قف» التى نهجتها الحكومة البريطانية خلال بعض سنى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية •

وفى الوقت الذى نلاحظ فيه أن الانتاج الصناعى فى انكلترا قد ازداد بحوالى ٤٠٪ ما بين ١٩٥٠ الى ١٩٦١ أى بمعدل نمو سنوى (مركب) ٣٪ تقريبا ، بلغت الزيادات لنفس القطاع ٩٧٪ و ١٦٤٪ فى كل من فرنسا و المانيا على التوالى خلال نفس الفترة ، أى بمعدلات نمو سنوية تعادل ٦٤٪ و ٩٢٪ على التوالى • وكان تطور انكلترا متذبذبا وان تباطؤها كان واضحا خلال السنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٢ و ١٩٥٥ - ١٩٥٧ و ١٩٦١ •

أما معدلات نمو الاستخدام فكانت ٥١٪ و ٧٠٪ و ١١٪ فى السنة فى

كل من ألمانيا ، فرنسا وانكلترا على التوالي خلال الفترة ١٩٥٠ - ١٩٦١ . والذي تجدر ملاحظته هنا هو انه بالرغم من أن معدل نمو الاستخدام في فرنسا كان أقل بكثير من انكلترا الا أن عرض العمل في فرنسا كان أكثر مرونة من انكلترا . وان الأيدي العاملة رغم قلة نموها في القطاع الصناعي لم تولد مضاعفات سيئة على النمو والتطور الصناعي في فرنسا . إذ أن القطاع الزراعي الفرنسي يعتبر مصدرا مهما لتوفير الأيدي العاملة لبقية القطاعات عند الحاجة كما صاحب ذلك زيادة الإنتاجية للفرد الواحد . على عكس ما كانت عليه الحال في انكلترا فقلة مرونة العمل أدت الى ظهور ما يسمى بظاهرة «خزن العمل» في بعض السنوات مما أثر تأثيرا سيئا على الإنتاج والإنتاجية في تلك السنوات . وكان اتجاه الصناعيين ، كلما اتبعت الحكومة سياسة انكماشية ، هو تقليل نسبة الطاقات الإنتاجية للمكائن والآلات (وصلت أحيانا الى أقل من ٥٠٪ من الطاقة الكلية) لكنهم مع ذلك كانوا يحتفظون بجزء من فائض العمل ادراكا منهم الى أن السياسة الانكماشية ما هي الا اجراء وقتي . وبهذا الاتجاه كان هناك تبذيرا وسوء في استغلال الأيدي العاملة (الضارة) في بعض السنوات ، فبدلا من تسريح الفائض كان الصناعيون يفضلون دفع التكلفة بدون مقابل يغطي ذلك . مما يؤدي بالطبع الى ارتفاع التكلفة للبضائع المنتجة وبنفس الوقت تحرم صناعات قد تكون بأحوج ما يكون للأيدي العاملة . ليس هذا فحسب انما أدى ذلك الى استمرار ضغط الطلب المحلي على الموارد المحلية (والاستيرادات) المحدودة .

اما معدلات نمو الإنتاجية (للعامل في الساعة) فكانت ٤٣٪ و ٥١٪ سنويا في ألمانيا وفرنسا على التوالي . وفي انكلترا كان معدل نمو الإنتاجية معادلا لـ ١٦٪ فقط خلال الفترة موضوع البحث .

العوامل المؤثرة على اختلافات الكفاءة الإنتاجية :

وتضمن المقال كذلك شرحا مسهبا عن العوامل التي أثرت على الاختلافات في الإنتاجية بين انكلترا من جهة وفرنسا وألمانيا من جهة أخرى . ونظرا لتباين الاسباب

التي أدت الى تحقيق الانجازات في فرنسا والمانيا (بالمقارنة بانكلترا) فانه لم يكن من السهل تحديد العوامل التي أدت الى تباطؤ انكلترا .

ان العوامل التي تؤثر على الانتاجية عديدة ولكنى حصرت الكلام على أهم العوامل التي أدت الى ظهور الاختلافات بين المجموعتين . وفيما يلي سنقدم عرضا سريعا لاهم هذه النقاط .

عرض العمل وأثره على النمو الصناعي :

حققت ألمانيا زيادات كبيرة في الاستخدام عن طريق الايدى العاملة القادمة اليها من الخارج وبذلك فان المانيا استفادت فائدة كبيرة من أيدي عاملة جاهزة ، وتمكنت من تحقيق «المعجزة» عن طريق توسيع القاعدة الانتاجية ، فاستخدام أحدث المآكين مع مزيد من العمل مكنها من تحقيق زيادات كبيرة في الانتاج . بينما في فرنسا ازداد الاستخدام بما يعادل ٧٠٪ فقط بالمقارنة بانكلترا التي ازداد فيها الاستخدام بما يعادل ١١٪ . لكن مرونة العمل كانت أكبر في فرنسا منها في انكلترا وذلك بسبب زيادة الانتاجية بالدرجة الرئيسية ، كما وأنه يمكن سحب جزء من الايدى العاملة في القطاع الزراعى الى القطاعات الاخرى . ومن ثم فانه بالرغم من زيادة الاستخدام في انكلترا بنسبة أكبر من فرنسا لكن انخفاض الانتاجية وعدم امكانية الحصول على أيدي عاملة من القطاع الزراعى أو القطاعات الاخرى أدى الى ظهور الندره وعدم المرونة في عرض العمل في انكلترا . وانه من الممكن أن تكون الاخيرة قد ساهمت في ابطاء عملية التطور الصناعى في بعض السنوات . وهناك بعض الشواهد تشير الى أن بعض الصناعات وخاصة صناعة الآليات وقطع الغيار Machine Tools كان بإمكانها ان تحقق زيادة في الانتاج من طاقاتها المتوفرة لو أن العمل كان متوفرا لديها .

تأثير الاستثمار على الانتاج والانتاجية الصناعية :

حللنا تأثير الاستثمار على الانتاج والانتاجية عن طريق استخدام معايير «رأس المال / الانتاج» و «الاستثمار / الانتاجية» . المعيار الاول يشير الى

كفاءة رأس المال في توسيع الانتاج عن طريق توسيع القاعدة الانتاجية Capital-Widening • والمعيار الثاني يشير الى تأثير الاستثمار (رأس المال) في زيادة الانتاجية عن طريق احلال الآلة محل العمل ، أو زيادة استخدام رأس المال مع نسبة أقل من العمل Capital-deepening • وأهمية هذا العامل تظهر جلية في الدول التي حققت زيادات في الانتاج مع ثبات أو مع زيادة طفيفة في الايدي العاملة • وهنا يظهر تأثير التكنولوجيا وأهمية رأس المال في التطور وفرنسا مثال يعكس لنا هذه الوضعية •

وتفسيرنا للمعيارين اعلاه ينص على انه كلما كانت النسبة واطئة كانت كانت مساهمة رأس المال أكبر في زيادة الانتاج والانتاجية •

وكانت أهم الاستنتاجات تتلخص في أن التقدم الصناعي في المانيا قد ارتكز على زيادة الانتاج بالدرجة الرئيسية وبدرجة أقل على زيادة الانتاجية • أما في فرنسا فكانت كفاءة الاستثمارات في مجال زيادة الانتاجية أكبر مما هي عليه في ألمانيا ، أى أن العمليات الانتاجية كانت موجهة نحو زيادة نسبة معامل « رأس المال — العمل » • وفي انكلترا كانت كفاءة الاستثمارات أوطأ في زيادة كلا من الانتاج والانتاجية بالمقارنة بألمانيا وفرنسا •

ولتلخيص تأثير الاستثمار في المانيا وفرنسا بالمقارنة بانكلترا نورد باختصار ما يلي :

الاتجاه العام هو أن النمو الصناعي يتناسب طرديا مع معدل رأس المال للفرد الواحد • فالانتاج الصناعي نما ببطء في الدول التي كان فيها معدل الاستثمار للفرد الواحد واطئا • • وحيث أن هذا المعدل الواطيء لم يكن قد صاحبه زيادة في الاستخدام وحيث أن الاستثمار الصناعي للفرد الواحد في انكلترا كان أوطأ مما هو عليه في المانيا وفرنسا ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن النمو البطيء للانتاج والانتاجية (بالمقارنة بفرنسا والمانيا) كان يعود بدرجة غير قليلة الى هذا السبب (معدل استثمار واطيء مصحوبا بزيادة طفيفة في الاستخدام) •

يضاف الى ذلك أن مقارنة تأثير الاستثمارات الاجمالية في الدول الثلاثة

يعطينا صورة أقل كفاءة في انكلترا مما لو استخدمنا أرقام الاستثمارات الصافية • وهذا يقودنا الى الاستنتاج بأن انكلترا لا تزال تستخدم معدات بالية كان يجب أن تنقرض obsolete لتحل محلها معدات انتاجية أكثر حداثة وكفاءة •

فاستخدام المانيا لمعدات جديدة وعلى نطاق واسع في توسعها الانتاجي أعطاهما أفضلية على انكلترا • واستخدام فرنسا لمكائن جديدة محل السابقة مكنها من زيادة الانتاج عن طريق زيادة الانتاجية بالدرجة الرئيسية •

تأثير العوامل الاخرى :

تأثير السياسة الاقتصادية وميزان المدفوعات

تشير الدلائل الى أن هذين العاملين المترابطين قد أثرا تأثيرا سيئا على التطور الصناعي في انكلترا •

ففي الوقت الذي نلاحظ فيه أن فرنسا والمانيا (بصورة خاصة) كانتا تتمتعان باطمئنان حول مشكلة المدفوعات ، كانت انكلترا تعاني من أزمة مزمنة (خائفة) في ميزان مدفوعاتها • فالمجموعة الاولى تمكنت من اطلاق العنان لتوسيع الطلب المحلي بينما انكلترا كانت مجبرة بسبب عجز ميزان مدفوعاتها الى ابطاء استمرارية عدة اتجاهات استثمارية توسعية منذ ١٩٥٠

ترتب على ذلك ضعف المركز التنافسي لانكلترا في السوق العالمية من حيث السوق والبضاعة Commodity and Geographical Areas مما أعاق عملية التطور الصناعي التي تعتمد في تطورها على الواردات (على المواد الاولية المستوردة) وعلى الصادرات (في توسعها وتسديد ائمان الاستيرادات) • وبهذا الخصوص قدمنا بعض الارقام عن الاسعار والتكلفة التي تعتبر السبب في تباطؤ انكلترا بالمقارنة ببقية الدول الاوربية •